الهمزة في العربية بين القدماء والمحدثين
" دراسة صوتية "

أ : حسنة أبوبكر أحمد عليّ ـ كلية التربية العجيلات ـ جامعة الزاوية

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذي علّم بالقلم علّم الإنسان ما لم يعلم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ،،،

فاللغة العربية كغيرها من اللغات البشرية لها مجموعة من الأصوات التي تكوّن في مجملها النظام الفونيمي للغة ، وهذه الأصوات تتباين من حيث طبيعتها ونمط استخراجها ، وخصائص أخرى تنفرد بها بعض الأصوات اللغوية عن غيرها من الأصوات مثل خاصية التفخيم وخاصية الترقيق ، وغيرهما .

وللغة العربية تسعة وعشرون حرفاً ، ذكرها عالم العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) أن في اللغة العربية تسعة وعشرين حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً صحاحاً لها أحياز ومدارج ، وأربعة جوفٍ وهي الألف والياء والواو والهمزة [1] - (التي محور بحثنا هذا) .

وتبتدئ حروف الهجاء في العربية بالهمزة في النظامين الأبجدي والألفبائي ، وكذلك بدأ سيبويه (ت 180 هـ) بالهمزة حين رتب هذه الحروف على النظام الصوتي أو المخرجي مخالفاً أستاذه الخليل بن أحمد الذي بدأ ترتيبها بحرف العين وجعل الهمزة آخر الحروف كلها بعد الألفا والياء والواو حسب الترتيب المعجمي أو الصوتي ، ليس هذا فقط كذلك رتب ابن جني (392 هـ) الأصوات حسب مخارجها ترتيباً تصاعدياً من أقصى الحلق إلى الشفتين مبتدئاً بالهمزة أيضاً .

وكان لعلماء اللغة القدامى السبق في التمييز بين الحرف والصوت فأوّل من ميّز الصوت من الحرف أبو الفتح عثمان بن جنيّ (ت 392 هـ) عندما عرّف اللغة بقوله : "أمّا حدُّها : فإنها أصوات يعبّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم " [2] فقال إنها أصوات ولم يقل حروفاً ، فالصوت هو الهواء المنبعث من الرئتين أثناء عملية الزفير والذي يمر بأعضاء الجهاز الصوتي فيكوّن شكل (موجات) ثم يطلق عليه مسمى الحرف فالصوت (أ) مثلاً حرفه الهمزة والصوت (ب) حرفه (الباء) وهكذا بقية الأصوات

فالحرف هو اسم الصوت ، وهو ما يسمى في الدراسات الصوتية الحديثة بـ (الفونيم phoneme) .

ومن الحقائق المهمة والمجهولة بالنسبة لبعض الدارسين حقيقة مفادها أن الصوت الكلامي speech sound هو شيء مغاير للحرف الهجائي Alphabeticd الذي نمارسه في كتاباتنا اليومية ومعاملاتنا [3]

وقد اختارت الباحثة من بين أصوات العربية صوت (الهمزة) أوّل حروف الهجاء وهي الألف التي تقبل الحركات فإن رسمت على ألف سميت الألف اليابسة كهمزة أعطى وسأل ، وتقابلها الألف اللينة وهي التي لا تقبل الحركات ، كألف : قال ورمى [4] .

وقد تضمنت هذه الورقة التي جاءت موسومة بعنوان : الهمزة في العربية بين القدماء والمحدثين " دراسة صوتية " :

تمهيد ومطلبين وخاتمة وإليكم تفصيل هذه الدراسة .

تمهيد :

الهمزة أوّل حروف الهجاء في اللغة العربية يُبدأ بها في النظامين الأبجدي : أ (همزة) ب ، ج ، د ، هـ ، و ، ز ، ح ، ط ، ي ، ك ، ل ، م ، ن ، س ، ع ، ف ، ص ، ق ، ر ، ش ، ت ، ث ، خ ، ذ ، ض ، ظ ، غ .

والألفبائي : أ (الهمزة) ، ا (الألف) ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح ، خ ، د ، ذ ، ر ، ز ، س ، ش ، ص ، ض ، ط ، ظ ، ع ، غ ، ف ، ق ، ك ، ل ، م ، ن ، هـ ، و ، ي[5] .

ليس هذا فحسب بل بدأ سيبويه ترتيب حروف العربية بالهمزة أيضاً جاء في الكتاب " فأصل حروف العربية تسعة وعشرون حرفاً : الهمزة ، الألف ، والهاء ، والعين ، والحاء ، والغين ، والخاء ، والكاف ، والقاف ، والضاد ، والجيم ، والشين ، والياء ، واللام ، والراء ، والنون ، والطاء ، والدال ، والتاء ، والصاد ، والزاي ، والسين ، والظاء ، والذال ، والثاء ، والفاء ، والباء ، والميم ، والواو [6] .

كذلك بدأ ابن جني ترتيب حروف العربية بالهمزة ، الألف ، الهاء [7] ...

والهمزة حرف لا صورة له إنما يصوره غيرها بسبب ما يلحقها من تسهيل ، أو إبدال ، او حذف ، أو تحقيق قال الأزهري (ت 310 هـ) : " اعلم أن الهمزة لا هجاء لها وإنما تكتب ألفاً ، ومرة ياءً ، ومرة واواً ، والألف اللينة لا حرف لها ، وإنما هي جزء من مدّة بعد فتحة"[8] .

وهناك من يصورها بصورة الألف فيقول ابن يعيش (ت 643 هـ) : " اعلم أن أصل حروف المعجم عند الجماعة تسعة وعشرون حرفاً على ما هو المشهور من عددها ،

أولها الهمزة ، ويقال لها الألف وإنما سمّوها ألفاً ؛ لأنها تصور بصورة الألف فلفظها مختلف وصورتها وصورة الألف اللينة واحدة " [9] ، أي لفظهما مختلف وصورتهما واحدة .

وزعم المبرد أنها ليست من حروف المعجم بدليل أنها لا تثبت على صورة واحدة ؛ فكأنها عنده من قبل الضبط فلو كانت حرفاً لكان لها شكل تثبت عليه كسائر الحروف العربية .

وردّ على ذلك بأنها لو لم تكن حرفاً لكانت مثل كلمة أهل ، وأحد ، على حرفين ، وهذا ليس من العربية ؛ لأنّ أقل أصول الكلمة في العربية ثلاثة أحرف [10] ، وأمّا كونها لا شكل لها ، فلأنها تسهل من الألف أو الواو أو الياء ، ولولا ذلك لكتبت ألفاً ، والقياس في كتابة الهمزة أن تكتب على الحرف الذي تسهل إليه والتي لا تسهل تكتب قطعة منفردة هكذا (ء).

وأكد ابن جني (ت 392 هـ) في كتابه (سر صناعة الإعراب) أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة ، وإنما كتبت الهمزة واواً مرة أو ياء مرة أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ، ولو أريد تحقيقها البته لَوجِب أن تكتب ألفاً على الأصل[11] ، ويبدو أن ابن جنيّ ، وكل من ذهب مذهبه رأوا أنّ كلمة (الألف) اسم للصوت المنطوق به همزة ، فالألف في رأيهم رمز للمكتوب ، والهمزة رمز للمنطوق .

وجاء في شرح المفصل لابن يعيش (ت 643 ه) : " وأمر آخر يدل على أن صورة الهمزة صورة الألف أن كل حرف سميته ففي أوّل حروف تسميته لفظة بعينه ألا ترى أنك إذا قلت ياء ففي أوّل حروفه ياء وإذا قلت تاء ففي أوّل حروفه تاء وكذلك جيم ودال وسائر حروف المعجم فكذلك إذا قلت ألفاً فأوّل الحروف التي نطقت بها همزة فدلّ ذلك على أنّ صورتها صورة الألف ، فأمّا الألف اللينة في نحو : قال ، وباع فإنها مدّة لا تكون إلاّ ساكنة " [12] .

ويرى عباس حسن الأرجح أن الحرف الأوّل من حروف الهجاء هو الهمزة وليس الألف التي تحمل الهمزة فوقها لتظهرها بارزة لا تختفي ، ولا تختلط بغيرها ، قال " فشأن الألف في هذا كشأن الواو والياء اللينتين تستقر فوقهما الهمزة في كتابة بعض الكلمات ، أمّا الألف الأصلية فمكانها في الترتيب الأبجدي بعد اللام مباشرة ، حتى لقد اندمجت بسبب سكونها ، واستحالة النطق بها مفردة – في اللام – وصارتا : " لا " مع أنها حرفان ، لا حرفاً واحداً[13].

ويبدو لي أن صورة الهمزة المحققة هي صورة الألف (أ) ؛ لأن أوّل الحروف التي تنطق بها لفظة ألف هي الهمزة تنطق (أ) كأنها نبرة تخرج من الحنجرة ؛ لأن مسميات حروف العربية في صدور أسمائها .

يقول ابن يعيش : " أعلم أن الهمزة التي تسمّى في أوّل حروف المعجم ألفاً وإنما سمّوها ألفاً ؛ لأنها تصور بصورة الألف وهي في الحقيقة نبرة تخرج من أقصى الحلق "[14].

وسميت بالهمزة ؛ لأنها تهمز فتَهَتُّ فتنهمز عن مخرجها يقال : هو يَهُتُّ إذا تكلّم بالهمز ، والهمزة مثل : الغمز والضغط ، ومنه الهمز في الكلام ؛ لأنه يضغط وقد همزت الحرف فانهمز [15] .

وتصوّر قطعة صغيرة على شكل حرف العين هكذا (ء) لقربها من مخرج العين الذي بدأ بها الخليل معجمه العين ، على الحرف الذي تسهّل إليه ، والأحرف التي تسهّل إليه الهمزة ثلاثة أحرف هي : الألف ، والواو ، والياء ، فترسم على الألف نحو : فأس ، ضأن ؛ لأنها تسهل إذا خففت لفظها فيقال : فاس ، ضان وترسم على الواو نحو : فؤاد ، يؤمن ؛ لأنها تسهل فيقال : فواد ، يومن .

وترسم على الياء (النبرة) نحو : ذئب ، بئر ؛ لأنها تسّهل إليها فيقال : ذيب ، بير .

وهي ضربان : همزة وصل ، وهمزة قطع وكل ما يثبت في الوصل فهي همزة قطع ، وما لم يثبت فيه فهي همزة وصل ، ولا تكون همزة الوصل إلاّ زائدة ، وهمزة القطع قد تكون زائدة كهمزة الاستفهام نحو : أخالد قادمٌ ؟ وقد تكون أصلية كهمزة أخذ ، أكمل [16] .

المطلـــب الأول ـ مخـــــرج الهمزة

المطلب الثاني ـ صفـــات الهمزة

تحديد مخرج الحرف وصفاته أساس الدراسة الصوتية اللغوية

المطلب الأول ـ مخرج الهمزة :

يطلق المَخْرج أو (المُخْرج) كما سمَّاه سيبويه بضم الميم وسكون الخاء ، على مكان النطق الذي يحدث فيه التصويت [17] ، وقد أطلق عليه ابن دريد (المجرى) [18] وسمّاه ابن سينا (ت 428 هـ) بـــ (المحبس) [19] ، وجاء في شرح المفصل ((والمخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده)) [20] ، ويدعى أحياناً بنقطة النطق أو ((الموضع الذي يكون فيه انحباس الهواء وحجزه من المرور كلياً أو جزئياً بأحد الحواجز الموجودة في الحلق كاللهاة ، أو اللسان أو الشفتين)) [21] حيث يحدث الاعتراض حبساً أو تضييقاً كما في الأصوات الصامتة التي تحدد أساساً عن طريق

المخرج [22] ،واعترض الأستاذ محمد الأنطاكي على مصطلح مخرج واستعمل مصطلح (محبس) بدلاً منه ، وعلل ذلك بأن كلمة مخرج تدل على المكان الذي يخرج منه النفس والصوت ، لا مكان الانحباس [23] .

وقد اختلف علماء العربية القدامى والمحدثون في تحديد مخرج الهمزة مما أدى إلى الاختلاف في تحديد صفاتها الصوتية .

ذهب الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) إلى أنّ مخرج الهمزة من أقصى الحلق ، ورد في معجم العين قوله : " وأمّا الهمزة مخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف " [24] والمهتوت من الهت ، وهو عصر الصوت ؛ لأنها معتصرة كالتهوع أو من الهتّ وهو الحكم والكسر ؛ لأنها يعرض لها الإبدال كثيراً فتتحطم وتنكسر .

ولقبّها بالهوائية ؛ لأنها هاوية لا يتعلق بها شيء وليس لها حير تنسب إليه إلاّ الهواء ، وفي شرح المفصل " روى الليث عن الخليل أن الألف والواو والياء والهمزة جوف ؛ لأنها تخرج من الجوف ولا تقع في مدرجة من مدارج الحلق ولا اللهاة ولا اللسان إنمّا هي هواء"[25] ويبدو أن قول الخليل فيه اضطراب إذ يرى أن الهمزة مخرجها من أقصى الحلق ، وأحياناً يرى أنها من الجوف ولا تقع في مدرجة من مدارج الحلق ولا اللهاة ولا اللسان إنما هي هواء وجمعها مع حروف المد الثلاثة : الألف والواو والياء [26] ، ونسبها إلى مخرج واحد الذي سمّاه الهواء تارة والجوف تارة أخرى حيث يقول : " والهمزة في الهواء لم يكن لها حيز تنسب إليه " [27] .

فالهمزة ليست هوائية بالمعنى الذي أراده الخليل ومن تابعه " وهو كون الهواء يخرج حراً طليقاً دون اعتراض حال النطق ؛ لأن الهواء يقابل باعتراض تام في منطقة الحنجرة " [28] ويعلل كمال بشر ذلك بقوله : " ويمكن تعليل هذا الخطأ الذي وقع فيه الخليل ومن تابعه بأن حين نطقها لمعرفة طبيعتها لم ينطقها وحدها وإنما نطقها متلوة بحركة ، فبدأت كما لو كان هواؤها حراً طليقاً على حين أن حرية الهواء إنما تنسب الى الحركة المصاحبة للهمزة لا إلى الهمزة ذاتها ، وهذا التعليل الذي نقدمه هنا ليس مجرد افتراض وهمي ، وإنما هو في حقيقة الأمر يستند إلى طريقة الخليل نفسه في ذوق الحروف " [29] .

ورأى سيبويه وغالبية اللغويين ومنهم ابن جني أن الهمزة تخرج من أقصى الحلق إذ قال: " فللحلق منها ثلاثة فأقصاها مخرجاً الهمزة والهاء والألف ، ومن أوسط الحلق مخرج العين والحاء ، وأدناها مخرجاً من الفم : الغين والخاء " [30] ، فمن أقصى الحلق

مخرج الهمزة عند سيبويه ويؤكد هذا الرأي ويوضحه ابن يعيش في قوله : " فمن ذلك (الحلق) وفيه ثلاث مخارج فأقصاها من أسفله إلى ما يلي الصدر مخرج الهمزة ولذلك ثقل إخراجها لتباعدها " (31) .

ويبدو أن سيبويه قرّب مخرج الهمزة من الحنجرة التي لم تكن معلومة من قبل ؛ لأنه قسم الحلق على ثلاثة مخارج : أقصى الحلق ، ووسط الحلق ، وأدنى الحلق ، فأطلق لفظة الحلق على منطقة واسعة من جهاز النطق تشمل الحنجرة وتكون الحنجرة هي المقصودة (بأقصى الحلق) إلاّ أنه لم يصرّح بلفظ الحنجرة .

ولعل هذا يكون راجعاً لعدم معرفة القدامى بمصطلح الحنجرة ، وعند المحدثين يرى الدكتور كمال بشر أنّ ما ذهب إليه سيبويه ومن تابعه من اللغويين القدامى من أن مخرج الهمزة من أقصى الحلق فهو رأي غير دقيق ويقول : " إذاً الهمزة ليست من الحلق إنما هي من الحنجرة هي سابقة للحلق " (32) .

ولعل هذا الخلط راجع إلى افتقار علماء العربية القدامى إلى المعامل والآلات والأجهزة الدقيقة والمختبرات المختصة التي تمكنهم من الوقوف على النقطة التي يخرج منها الحرف ، فإن المحدثين من علماء العربية يلتمسون العذر لمن سبقهم لعدم معرفتهم بالحنجرة واعتمادهم على الملاحظة لا على التجربة المعتمدة على التشريح ؛ إلا أنهم يرون أن ابن سينا (ت 428 هـ) سبقهم بمعرفة الحنجرة ووظيفتها في عملية النطق ، وهذا راجع لتخصصه كونه طبيباً (33) .

وذهب الدكتور إبراهيم أنيس إلى أن مخرج الهمزة من المزمار نفسه فيقول : " وأمّا مخرج الهمزة المحققة فهو المزمار نفسه ، إذ عند النطق بالهمزة تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق ، ثم تنفرج فتحة المزمار فيسمع صوت انفجاري هو ما نعبر عنه بالهمزة " (34) .

وقد عدّ جان كانتينو مخرج الهمزة من رأس قصبة الرئة (35) .

ويرى آخرون بأنه لا خلاف بين القدامى والمحدثين في تحديد مخرج الهمزة ، يقول الدكتور حسام النعيمي : " أمّا مخرج الهمزة عند المحدثين جعله بعضهم من أقصى الحلق موافقاً ما عليه العلماء العرب ، وعبّر عنه بعضهم بأنه من المزمار نفسه وبعضهم بأنه من الحنجرة ، والمزمار كما هو معلوم من أعلى الحنجرة ، وسبق وأن ذكرنا إمكان شمول لفظ الحلق عند القدامى الحنجرة أيضاً وعلى هذا فلا خلاف في وصف الهمزة " (36) .

المطلب الثاني ـ صفات الهمزة :

بعد أن تعرفنا على مخرج الهمزة نتعرف على صفاتها الصوتية .

اختلف القدماء والمحدثون - أيضاً - في تحديد صفات الهمزة ، فقد اتفق القدماء على أنها صوت شديد مجهور ، وهذا ما ذهب إليه سيبويه [37] ، وابن جني [38] ، وابن يعيش [39] ، والشديد عندهم هو الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه .

أمّا المحدثون فقد اختلفوا فيما بينهم في تحديد صفات الهمزة فمنهم من يصفها بأنها صوت مهموس وهذا ما ذهب إليه الدكتور تمام حسان [40] ، وكانتينو [41] ، والدكتور رمضان عبد التوّاب [42] ، والهمس عندهم عدم الجهر وهو رأي غير دقيق عند الدكتور كمال بشر .

ومنهم من يصفها بأنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس يقول الدكتور إبراهيم أنيس : " فالهمزة إذاً صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس " [43] وتابعه الدكتور السعران [44] ، والدكتور كمال بشر [45] ، وضّح الدكتور السعران بأن (همزة القطع لا هي بالمجهورة ولا هي بالمهموسة " [46] ويقول الدكتور كمال بشر : " والقول بأن الهمزة صوت لا بالمهموس ولا بالمجهور هو الرأي الراجح إذ إن وضع الأوتار الصوتية حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو ما يسمى بالهمس " [47] .

والذي يظهر الاختلاف بين القدماء والمحدثين في صفات الهمزة من حيث الجهر والهمس هو الاختلاف في مفهوم الجهر عند كلٍّ منهما .

فالجهر عند القدماء ويمثلهم إمام العربية سيبويه :

" هو حرف أشبع الاعتماد في موضعه ، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقض الاعتماد (عليه) ويجري الصوت ، فهذه حال المجهور في الحلق والفم [48] ، أما المهموس : "فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه وأنت تعرف ذلك إذا اعتبرت فردّدت الحرف مع جري النفس ، ولو أردت ذلك في المجهور لم تقدر عليه " [49] .

فالصوت المجهور يمنع النفس أن يجري معه لاهتزاز الأوتار الصوتية والمهموس أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس لعدم اهتزاز الأوتار الصوتية .

فيتضح ضابط الجهر والهمس عند القدماء إنما هو جريان النفس مع الحرف أو حبس النفس أن يجري معه ، فإذا جرى النفس مع الحرف وكان دون الجهر في رفع الصوت فهو مهموس ؛ لأنه اتسع له المخرج فخرج الحرف كأنه متفشي [50] ، وإذا

حبس النفس أن يجري معه حتى ينتهي نطق الحرف كان مجهوراً ؛ لأنه لم يخالطه شيء يغيره ؛ ولأن المخرج لم يتسع فلم تسمع لها صوتاً [51] .

فوصف الهمزة عند القدماء بأنها صوت مجهور لا يتفق مع رأي أغلب المحدثين ، ذكر الدكتور كمال بشر أنّ من آراء علماء العربية القدماء التي لم يوفقوا فيها في وصف الهمزة هي الحكم عليها بأنها مجهورة ، ويقول : " لا يمكن وصفها بالجهر " [52] .

وعلل ذلك أن عادة الخليل جرت عند نطقه للحرف أن يفتح فاه بالألف (أي الهمزة) ثم يأتي بالحرف المراد نطقه ساكناً هكذا : (ابْ) ، (ات) مثلاً حين يريد النطق بـ (الباء) أو (التاء) ، ومعنى هذا أنّ الخليل حينما نطق بالهمزة أتى بهمزتين الأولى هي الهمزة التي يأتي بها مع أي حرف (وصل) والثانية هي الهمزة التي يريد نطقها لمعرفة خواصها[53] ، فنطقها متلوة بالحركة والحركة مجهورة فأثر جهر الحركة على نطق الهمزة ووصفوها بالجهر خطأ .

أمّا المحدثون فالمجهور عندهم " هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به " [54] والمهموس " هو الصوت الذي لا تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به"[55] .

فضابط الجهر والهمس عند المحدثين هو حركة الأوتار الصوتية فإذا اقترب الوتران الصوتيان بعضهما من بعض أثناء مرور الهواء وأثناء النطق فيضيق الفراغ بينهما لكنه يظل يسمح بمرور الهواء مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة لهذه الأوتار ، كان الصوت مجهوراً ، وإذا انفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض أثناء مرور الهواء وأثناء النطق ويسمحان للهواء بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه مع عدم تذبذب الوترين الصوتيين كان الصوت مهموساً [56] .

ومن هنا اختلف المحدثون في وصف الهمزة فيرى بعضهم أنها صوت مهموس ؛ لأن الوترين الصوتيين لا يتذبذبان عند النطق بها إذ إنها تخرج بانطباق الوترين الصوتيين ، وهذا الانطباق من دون ارتعاش الأوتار الصوتية لذا كانت الهمزة مهموسة [57] .

ويرى الدكتور كمال بشر أن هذا الرأي غير دقيق ، ويفسر رأيهم هذا بقوله : " إنهم لاحظوا المرحلة الثانية من نطق الهمزة وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار ، ففي هذه الحالة تكون الأوتار في وضع الهمس " [58] .

ويرى أن هذا السلوك غير دقيق بالنسبة لطبيعة الهمزة فيقول : " إذ الهمزة العربية لا يتم نطقها بهذه المرحلة الثانية وحدها ، وإنما تتكون وتتم بمرحلتين ، المرحلة الأولى

: مرحلة انطباق الوترين وفيها ينضغط الهواء من خلفها فينقطع النفس ، والمرحلة الثانية : مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثاً انفجاراً مسموعاً " [59] .

فهذه النقطة المهمة هي التي أوجدت الخلاف بين علماء العربية فعدم ذبذبة الهواء في الوترين الصوتيين في المرحلة الأولى دعت إلى اعتبار الهمزة من الأصوات المهموسة وذبذبة الهواء في الوترين الصوتيين في المرحلة الثانية دعت بعض العلماء إلى اعتبارها مجهورة ، فكل فريق نظر إليها من زاوية معينة ، والحقيقة أن الهمزة لا يتم نطقها إلاّ بتلك المرحلتين متتاليتين لا يمكن النظر إلى إحداهما دون الأخرى [60] .

لذا ذهب الدكتور كمال بشر وغيره إلى أن صوت الهمزة شديد لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس ؛ لأنه ينطق بسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين (فتحة المزمار) وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً ، فيحبس الهواء خلفها ولا يسمح للهواء بالمرور من الحنجرة ثم ينفرج الوتران الصوتيان فيخرج الهواء فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً (شديداً) [61] في حين أنكر الدكتور رمضان عبد التواب هذا الرأي بقوله : " وهذا رأي غريب لم يرضَ عنه جمهرة الدارسين للأصوات [62] .

ولمعرفة جهر الصوت أو همسه يمكنك إجراء عدّة تجارب ذكرها المحدثون منهما[63] :

وضع أصبعي السبابة والإبهام على المنطقة البارزة في الحنجرة (تفاحة آدم) ثم ينطق بالصوت فإذا اهتز الوتران الصوتيان فهو مجهور ، وإذا لم يهتز الوتران الصوتيان فهو مهموس .

وهناك صفات أخرى للهمزة أقل أهمية مما سبق فهي من الأصوات اللغوية المنفتحة ؛ لأنّ اللسان لا ينطبق على الحنك عند نطقها [64] ، وهي - أيضاً - من الحروف المنخفضة ، ويقال لها المستفلة ؛ لأن اللسان لا يستعلى عند النطق بها إلى الحنك بل يستفل إلى قاع الفم عند نطقها [65] ، وهي من الحروف المصمتة ، أي اصمتت أن تختص بالبناء إذا كثرت حروفه لاعتياصها على اللسان [66] .

نتائج البحث

نستنتج من هذه الدراسة ما يلي :

1- إن الهمزة حرف مستقل من حروف الهجاء في العربية وهي صوت حنجري مزماري شديد (انفجاري) لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور ، وهو في الحقيقة نبرة تخرج من أقصى الحلق لوضوحها النسبي عند النطق فصوتها ينطق ببذل طاقة أكثر ، وتجاورها الألف فهي لا ترادف الألف بل يفصل بينها وبين الألف في المخرج والصفة

، ويمكن لنا تسمية الهمزة (أ) بالألف اليابسة على حين أن الألف التي نعرفها هي الألف اللينة والتي تعد من حروف المد .

2- خطَّأ المحدثون ومنهم كمال بشر ومن تبعه الخليل بن أحمد بأن الهمزة هوائية أو أنها من الجوف على حد تعبيره وعدّها مع حروف المد الثلاثة : الألف ، الواو ، الياء ، ونسبها جميعاً إلى المخرج الذي سمّاه بالهواء تارة والجوف تارة أخرى ، ويوضح (كمال بشر) بأن الهمزة ليست هوائية بالمعنى الذي أرادوا ، وهو كون الهواء يخرج حراً طليقاً من دون اعتراض ، حال النطق بها ؛ لأن الهواء يقابل باعتراض تام في منطقة الحنجرة ، وذلك بانطباق الوترين الصوتيين انطاقاً تاماً ، ثم ينفرج الوتران فيخرج الهواء فجأة محدثاً صوتاً شديداً (انفجارياً) وليس صحيحاً - أيضاً - وضع الهمزة مع حروف المد الثلاثة (الصائتة) فحروف المد حركات طويلة تسمى (بالصوائت) على حين أن الهمزة صوت صحيح من (الصوامت) تقبل الحركات الثلاثة : الكسرة والضمة والفتحة ، أما الألف والواو والياء هي التي يصح وصفها بأنها من الجوف أو بأنها هوائية .

3- اختلف القدماء والمحدثون في وصف الهمزة فذهب القدماء إلى أنها صوت مجهور شديد هوائي ؛ لأنها تخرج من الجوف فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان ، ولا في مدارج الحلق ، ولا من مدارج اللهاة ، وإنما هي هاوية من الهواء .

ولم يكن لها حيز تنسب إليه إلاّ الجوف ، ويقول الخليل أيضاَ :

" والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حيز واحد ؛ لأنها لا يتعلق بها شيء " كذلك جمعها مع حروف المد الثلاثة الألف والواو والياء .

أمّا المحدثون فقد اختلفوا فيما بينهم فمنهم من وصفها بأنها حرف صحيح وهو مهموس، ومنهم من يراه بأنه صوت لا هو بالمهموس ولا بالمجهور ، يقبل حركات الإعراب الثلاثة الكسرة والضمة والفتحة .

4- جعل غالبية اللغويين القدماء أن موضع نطق الهمزة من أقصى الحلق ، وهذا رأي غير دقيق عند الدكتور كمال بشر ومن تبعه ؛ لأن الهمزة ليست من الحلق وإنما هي من الحنجرة وهي سابقة للحلق ، ويبرر المحدثون قبول رأي القدماء هذا بافتراض أنهم أطلقوا مصطلح الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها ، وتكون الحنجرة هي المقصودة بأقصى الحلق .

5- ابتكر المحدثون مخرجاً جديداً من مخارج الحروف وهو (الحنجرة) والذي لم يذكره سيبويه ولم يعدّه من مخارج الحروف ، وأطلقوا عليه مصطلح الحنجرة ؛ وهو جزء من

جهاز النطق سابق للحلق كما ميّزوا بين المخرج الحلقي والمخرج الحنجري ، وخصوا للحلق صوت الحاء والعين ، وللحنجري صوت الهمزة والهاء .

قائمة الهوامش :

1- العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق الدكتور مهدي المحزومي ، والدكتور إبراهيم السامرائي 1 / 58 مطبعة دار الرشيد بغداد 1980 م .
2- الخصائص ، لابن جني ، تحقيق الشربي شريدة ، ج 1 / 76 ، دار الحديث القاهرة 2008 م .
3- علم الأصوات بين القدماء والمحدثين د: علي حسن مزبان : 15 ، دار شموع الثقافة الزاوية ، الطبعة الأولى 2003 م .
4- الإملاء العربي ، تأليف أحمد قبش : 24 دار الرشيد دمشق ، بيروت ، 1984 م .
5- ينظر : لسان العرب ، لابن منظور ، المقدمة 1 / 10 ، 12 ، طبعة ومراجعة ومصححة بمعرفة نخبة من السادة والاساتذة المتخصصين ، دار الحديث القاهرة سنة الطبع 2002 م ، وينظر : التطبيقات اللغوية تأليف : علي مزبان ، دار الشموع الزاوية ، الطبعة الأولى ، 2003 م .
6- الكتاب ، سيبويه ، أبي بنشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، ج 4 / 431 ، دار الجبل بيروت ، الطبعة الأولى .
7- سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، تحقيق : مصطفى السّقا وآخر ، 1 / 37 ، القاهرة 1954 م .
8- لسان العرب لابن منظور ، المقدمة 1 / 37 .
9- شرح المفصل لابن يعيش ، ج 10 / 126 ، مكتبة المتنبي القاهرة .
10- همع الهوامع في شرح الجوامع ، تأليف الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ، تحقيق : أحمد شمس الدين ، مج 3 / 450 ، الطبعة الثانية دار الكتب العلمية بيروت 2006 م .
11- ينظر : سر صناعة الإعراب ، لابن جني ، 1 / 37 ، وينظر : شرح المفصل لابن يعيش : ج 10 / 126 .
12- شرح المفصل ، لابن يعيش : 10 / 126 .
13- ينظر : النحو الوافي ، عباس حسن ، ج 1 / 13 .
14- شرح المفصل ، لابن يعيش : ج 10 / 134 .
15- ينظر لسان العرب ، لابن منظور : مج 2 / 1139 .
16- ينظر أصول الكتابة العربية ، تأليف مصطفى محمد الباجقني : 81 منشورات ELGA الطبعة الثانية ، 1996 م ، وينظر : الإملاء العربي ، أحمد قبش : 27 .
17- ينظر الكتاب : سيبويه : 4 / 433 .
18- ينظر / جمهرة اللغة ، لابن دريد ، تحقيق : رمزي منير البعلبكي ، ج 1 / 45 ، بيروت ، 1988 م .
19- ينظر : أسباب حدوث الحرف ، تحقيق محمد حسان الطيان ، ويحي مير علم ، 10 مجمع اللغة العربية في دمشق ، 1983 م .
20- شرح المفصل ، لابن يعيش : ج 10 / 124 .
21- فقه اللغة ، وخصائص العربية ، محمد مبارك ، 46 دمشق 1960 م .
22- ينظر : مبادئ اللسانيات ، د . أحمد محمد قدوري : 93 مطبعة دار الفكر دمشق الطبعة الثالثة 2008 م .
23- ينظر : الوجيز في فقه اللغة ، محمد الانطاكي : 159 ، الطبعة الثالثة ، بيروت .
24- معجم العين ، للخليل ، ج 1 / 52 .

25- شرح المفصل ، لابن يعيش : ج 10 / 124 .
26- ينظر : المصدر السابق ، الموضع نفسه .
27- معجم العين ، للخليل ، 1 / 58 .
28- علم اللغة العام (الأصوات) د : كمال بشر ، 113 ، دار المعارف ، مصر 1975م .
29- المصدر السابق ، الموضع نفسه .
30- الكتاب ، سيبويه ، ج 4 / 433 .
31- شرح المفصل لابن يعيش : ج 10 / 124 .
32- علم اللغة العام ، كمال بشر : 113 .
33- ينظر : المصدر السابق ، الموضع نفسه .
34- الأصوات اللغوية ، تأليف الدكتور : إبراهيم أنيس : 74 ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 1995 م .
35- ينظر : علم الأصوات اللغوية ، تأليف الدكتور : مناف مهدي الموسوي : 85 منشورات جامعة السابع من ابريل ، الطبعة الأولى 1993 م .
36- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، حسام سعد النعيمي : 313 دار الرشيد للنشر ، 1980 م .
37- ينظر : الكتاب ، سيبويه : ج 4 / 434 .
38- ينظر : سر صناعة الإعراب لابن جني : 1 / 69 .
39- ينظر : شرح المفصل ، لابن يعيش : ح 10 / 128 .
40- ينظر : مناهج البحث في اللغة ، د : تمام حسان ، 125 مطبعة النجار ، الدار البيضاء المغرب ، 1979 م .
41- ينظر : دروس في علم الأصوات العربية ، لجان كانتينو ، ترجمة صالح القرمادي ، 35 نشر الجامعة التونسية 1961 م .
42- ينظر : المدخل إلى علم اللغة د. رمضان عبد التواب : 56 الطبعة الأولى مطبعة المدني القاهرة 1982 م .
43- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس : 90 ، الطبعة السادسة ، القاهرة ، 1961 م .
44- ينظر : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران : 171 طبع في مصر ، 1962 م .
45- ينظر : علم اللغة العام (الأصوات) كمال بشر : 112 .
46- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، محمود السعران : 171 .
47- علم اللغة العام ، كمال بشر : 112 .
48- الكتاب : ج 4 / 434 .
49- المصدر السابق الموضع نفسه .
50- ينظر : جمهرة اللغة ، لابن دريد ، ج 1 / 8 .
51- المصدر السابق الموضع نفسه .
52- علم اللغة العام ، كمال بشر : 115 .
53- المصدر السابق : 113 .
54- المصدر نفسه : 88 .
55- نفسه : 87 .
56- نفسه
57- ينظر دروس في علم أصوات العربية ، جان كانيتنو : 123 .
58- علم اللغة العام ، كمال بشير : 112

59- المصدر السابق ، الموضع نفسه .
60- المصدر نفسه ، الموضع نفسه .
61- نفسه .
62- المدخل إلى علم اللغة ، الدكتور رمضان عبدالتواب ، 57 .
63- ينظر : الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس : 20 .
64- الكتاب ، لسيبويه ج 4 / 436 .
65- ينظر : همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، للسيوطي ، 3 / 455 ، وينظر شرح المفصل لابن يعيش ج 10 / 129 .
66- ينظر : جمهرة اللغة ، لابن دريد ج 1 / 7 .